المحاضرة الثالثة:

المحور الثاني: علم المستقبل و العلاقات الدولية

أولا: أهمية دراسة المستقبل في العلاقات الدولية:

يمكن القول عموما أن الدراسات المستقبلية تساعدنا على صنع مستقبل أفضل، و ذلك بفضل ما تؤمنه من منافع متعددة، من أهمها ما يلي:

– اكتشاف المشكلات قبل وقوعها، ومن ثم التهيؤ لمواجهتها أو حتى لقطع الطريق عليها والحيلولة دون وقوعها.وبذلك تؤدي الدراسات المستقبلية وظائف الإنذار المبكر، والاستعداد المبكر للمستقبل، والتأهل للتحكم فيه، أو على الأقل للمشاركة في صنعه.

– إعادة اكتشاف أنفسنا ومواردنا وطاقاتنا، وبخاصة ما هو كامن منها، والذي يمكن أن يتحول بفضل العلم إلى موارد وطاقات فعلية. وهذا بدوره يساعد على اكتشاف مسارات جديدة يمكن أن تحقق لنا ما نصبو إليه من تنمية شاملة سريعة ومتواصلة. ومن خلال عمليات الاكتشافات وإعادة الاكتشاف هذه تسترد الأمة الساعية للتنمية الثقة بنفسها، وتستجمع قواها وتعبئ طاقاتها لمواجهة تحديات المستقبل.

– بلورة الاختيارات الممكنة والمتاحة وترشيد عملية المفاضلة بينها. وذلك بإخضاع كل اختيار منها للدرس والفحص، بقصد استطلاع ما يمكن أن يؤدي إليه من تداعيات، وما يمكن أن يسفر عنه من نتائج. ويترتب على ذلك المساعدة في توفير قاعدة معرفية يمكن للناس أن يحددوا اختياراتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ضوئها، وذلك بدلًا من الاكتفاء بالمجادلات الأيديولوجية والمنازعات السياسية التي تختلط فيها الأسباب بالنتائج، ويصعب فيها تمييز ما هو موضوعي مما هو ذاتي.

ثانيا: الدراسات المستقبلية و ميدان العلاقات الدولية:

ظهر الاهتمام بميدان الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، فمنذ الخمسينات عرف العالم اهتماما واسعا بالدراسات المستقبلية حيث استطاع العالم الفرنسي بيرتراند دو جوفنيل Bertrand De Jouvenel بمساهمة مؤسسة فورد الأمريكية، إعداد مشروع المستقبلات الممكنة

Futuribles ، يقر فيه أن المستقبل ليس قدرا، بل مجال لممارسة الحرية من خلال التدخل الواعي في بنية الواقع القائم باتجاه "المفضل"، ما يعني أنه يجب النظر إلى المستقبل كمجال متعدد، وليس مفردا. ويعد مؤلفه "**فن التنبؤ**" the art of conhecture بمثابة ثورة منهجية في ميدان الدراسات المستقبلية،الذي اقترح فيه طريقة انشاء هيئات التنبؤ Forum Provisionnel، التي تتكفل بإعداد الدراسات المستقبلية لدولة ما. كما ساهم فيما بعد في إنشاء الجمعية الدولية للمستقبلات الممكنة.

كما أرتبط ظهور الدراسات المستقبلية، والحاجة إلى استشراف المستقبل ومعرفة آفاقه بالضرورات العسكرية والإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية عقب نهاية الحرب العالمية الثانية، و كانت مؤسسة راند (Rand) رائدة في هذا المجال أين أشرفت على العديد من الدراسات المستقبلية خدمة للأمن القومي الأمريكي و لتقتحم الدراسات المستقبلية بعد ذلك ميادين مدنية ذات توجهات تجارية وتكنولوجية وتعليمية وفكرية كالمؤسسات أو المراكز الفكرية Think Tanks التي تضم عددا من المفكرين الاستراتيجيين والخبراء في العلاقات الدولية، وهي مؤسسات في خدمة المراكز الثلاثة الكبرى لصنع القرار الأمريكي: البيت الأبيض، الكونغرس، والبنتاغون الذي تفطن لأهمية الدراسات المستقبلية في توظيفها لخدمة الأمن القومي الأمريكي.

إلى جانب ذلك شهدت الدراسات المستقبلية انتشارا في مختلف دول العالم على غرار هولندا، بريطانيا، السويد... لتصل خلال نهاية الثمانينات للدول النامية و العربية منها التي أصبحت تدرج مادة الدراسات المستقبلية ضمن برامجها التعليمية المختلفة.

المجتمع الدولي من منظور الدراسات المستقبلية:

ينقسم المجتمع الدولي وفقا للدراسات المستقبلية إلى ثلاث أشكال:

مجتمعات الماضي: و هي المجتمعات التي مازال النظر فيها للمستقبل يتم عبر أدوات تقليدية، و قد تتواجد هذه المجتمعات باعتبارها نظما فرعية في النظام الاجتماعي مثلما هو الحال في المجتمعات القبلية. يغلب على هذه المجمعات الطابع الزراعي حيث تتزايد نسبة العاملين في هذا القطاع كما أن أدوات التعامل مع المستقبل في هذه المجتمعات هي اقل جرأة مقارنة بباقي المجتمعات بسبب طابعها المحافظ.

مجتمعات الحاضر: و هي مجتمعات تنخرط في قطاعات الصناعة و يمكن اعتبار التخطيط سمة رئيسية لها، رغم تباين مستويات التخطيط من دولة لأخرى، حسب مستويات التطور العلمي و التقني فيها. و تتميز الدراسات المستقبلية في هذا النوع من المجتمعات بالبعد التخطيطي بمعنى وضع خطط للعمل على انجازها استنادا إلى تصورات مستقبلية حول موضوع معين (مثل التوسع و المراهنة على صناعات بديلة في ظل انخفاض أسعار النفط...).

مجتمعات المستقبل: و يقصد بها مجتمعات القطاعات ما بعد الصناعية التي تعمل على أساس أن التطور التكنولوجي سيؤدي إلى تغيرات غير متوقعة و بالتالي لابد من التصور المستقبلي لهذه التغيرات و العمل على كيفية التكيف معها.فقد أثارت الاكتشافات العلمية في مجال الاستنساخ و الجينات الوراثية اهتمام الباحثين حول الآثار المستقبلية لهذه التطورات على الصعيد الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي... كما أدى التطور الكبير في المجال الاتصالاتي و المواصلات و الترابط بين الشعوب إلى التساؤل حول مستقبل الدولة و الأحزاب السياسية و العولمة....

الدراسات المستقبلية و العالم العربي

بالنسبة للدول العربية فقد تأخر ظهور هذا الميدان البحثي و الاهتمام به إلى مطلع الثمانينات لأسباب متعددة من بينها عدم الإيمان بالقدرة في التحكم في المستقبل و انه قدر محتوم و كذا التخلف العام للبحث العلمي و نقص الميزانيات المخصصة لمثل هذه الأبحاث حيث يشار إلى أن حوالي 97 بالمئة من الدراسات المستقبلية تشرف عليها الدول الغربية.

تمثلت بدايات الأبحاث العربية في الدراسات المستقبلية في شكل أبحاث فردية في شكل مقالات و كتب علمية بعدها بدأت مراكز الدراسات الاهتمام و الإشراف على هذه الأبحاث، ليدخل هذا الميدان المعرفي إلى الجامعات العربية خلال منتصف التسعينات تحت مسمى الدراسات المستقبلية.

لكن و بصفة عامة يمكن القول بأن مجال البحوث السياسية و الإستراتيجية في الأقطار العربية يُعاني من غياب الرؤية المستقبلية، وإن تمت مثل هذه الدراسات فإنها لا تخرج عن النطاق الأكاديمي، ولا تتطور لتُصبح جزءا من طريقة الفكر الاجتماعي أو حتى الممارسة الفعلية من جانب الحكومات أو الأفراد.